

التغيّر الدلالي ومظاهره

6.6

د. هادية رواق



قائمة المحتويات

5	وحدة
7	مقدمة
9	I-أسباب التغيّر الدلالي
9.....	آ. التغيّر من سنن اللغات.....
9.....	ب. الحاجة والاستعمال.....
10.....	پ. اختلاف الزمان والمكان والأحداث.....
11	II-مظاهر التغيّر الدلالي.
11.....	آ. انتقال الدلالة.....
11.....	ب. الرقي والازدهار والبلی والانحطاط في الدلالة.....
11.....	پ. التعميم والانتّساع في الدلالة.....
12.....	ت. التخصيص والتضييق.....
13	خاتمة

وحدة

الهدف العام.

أن يفرّق الطالب بين مختلف ظواهر التغيّر الدلالي (التقدّم، الرّقّي، البلى، التخصيص، التعميم..)

الأهداف الإجرائية.

- أن يستكشف الطالب ظاهرة التغيّر الدلالي ويحدّد أسبابها بمهارة.

- أن يعرف الطالب مظاهر التغيّر التغيّر الدلالي (الانتقال، التوسّع، التخصيص، الرّقّي، البلى...) ويميّز بعضها عن بعض تمييزاً جيّداً.

مقدمة

تُظهر طبيعة اللغات أنَّها لا تثبت على حال، فاللغة كائن حيّ وكلّ حيّ هو عرضة للتحوّل والتغيّر، اللغة خاضعة لعمليات التحوّل والتبدّل باستمرار، وذلك بفعل ديناميكية الحياة التي تتجاوز القواعد والتقاليد اللغوية الراسخة. وبما أنَّ اللغة من أبرز الظواهر الاجتماعية، فإنَّ شأنها شأن غيرها من الظواهر، فهي تخضع لقانون التغير والتطور، ويظهر ذلك جلياً من خلال التبدلات السريعة التي تطرأ عليها نتيجة التحوّلات والأحداث التي تصيب الحياة الاجتماعية وتنعكس على سلوك الأفراد والمجتمعات.

أسباب التغير الدلالي

9	التغير من سنن اللغات
9	الحاجة والاستعمال
10	اختلاف الزمان والمكان والأحداث.

تختلف اللغة في المكان والزمان، حسب ما تعارف عليه المتكلمون المستعملون. وهناك عوامل كثيرة تاريخية حضارية، سياسية، دينية، تجعل ظاهرة التغير معقدة، قد يؤدي المجتمع الواعي كمجتمع المعرفة دورا كبيرا في الحفاظ على لغته نقية لكنه لا يمنعها من التغير

أ. التغير من سنن اللغات

لا بقاء للغة ثابتة إلا إذا كانت لغة ميّنة وقد تحصّنت بالمناخ، أو تدثّرت بين الكتب العتيقة، بيد أنّ اللغات في الاستعمال تتبدّل ونراها في غالب الأجيال تتغير بسرعة عظيمة "1" وهو الأمر الذي أطلق عليه فاندرياس مصطلح تقدّم اللغة، فاللغة تتغير بعوامل كثيرة كالتجدّد والبلى والرقى والازدهار الذي يصيب الكلمات. واللغات الحية المستعملة جميعها "تتفرّق دون توقف وتنمو دون حدّ." 2 والسبب في ذلك هو طبيعتها المتغيرة

نأخذ الألفاظ في حياة اللغة العربية نموذجا لظاهرة التغير التي تقع على اللغات، فقد أحيا القرآن الكريم باعتباره حدثا دينيا واجتماعيا وحضاريا ضخما، ألفاظا كانت نسيا منسيا وأمات مفردات عديدة كانت تدور على ألسنة العرب، فأسقطها من الاستعمال، كعبارات: "خلاك ذم/ ثكلتك أمك/ أبيت اللعن/ لا أبا لك -" (3) [3] لأنها عبارات لا تليق بلغة من يدين بالإسلام.

كما دخلت عبارات كثيرة، كانت مظهرًا من مظاهر تغير اللغة، فوحد معاني ألفاظ كثيرة وأطلقها ها في الناس بمعان دينية واضحة الدلالة معروفة الاستعمال (صلاة، إيمان، كفر)، وأحدث معان مجازية لبعض الكلمات مثل المغفرة والتسبيح، الغسلين، ولفظة إبليس، فكان هذا التغير سببا في اهتمام العلماء بدلالات الكلمات، وذلك ما دعا إلى الاهتمام بمعاني الكلمات، علاوة عن المحاولات المتنوعة لفهم دلالات القرآن الكريم جملة وتفصيلا. 4[4]

نذكر في هذا السياق أهمية الوعي بقيمة اللغة في حياة المجتمع بجميع حيثياته، فاللغة تقبض على الحياة قبضا محكما لذلك كانت معركة الحفاظ على العربية نقية، واستمات العلماء في تدوينها للحفاظ عليها من التغير والزوال

ب. الحاجة والاستعمال

تستجيب اللغة لحاجات الاستعمال والتواصل التي يسلكها المجتمع، ولا يقف الأمر على التواصل اليومي، بل إنّ كلّ حركة في حياة الجماعة حضارية كانت أم دينية أم علمية وسياسية، تعني حركة في حياة اللغة. لذلك برزت عدّة عوامل وأسباب هي أسباب قارّة للتغير الدلالي، وعلى رأسها الحاجة والاستعمال فهي العامل الرئيس في عوامل تبدّل اللغات، قال ابن جنّي بأنّ اللفظ إذا كثر استعماله وشاع في الكلام كثيرا مال إلى التغير "5" وهم لما كثر في استعمالهم أشدّ تغييرا "هذا من جهة، ومن ناحية أخرى نجد أنّ

الاستعمال يكون حسب الحاجة، حتّى في اللّغة الواحدة، ويحدث ذلك مع تطاول الأزمان واختلاف البلدان، يؤكد إبراهيم أنيس أنّ الاشتقاق؛ وهو آلة لاستغلال اللغة، لا يحدث تلقائياً مع ظهور الفعل أو المصدر، بل تفرضه الحاجة، وقد تمرّ فترات طويلة دون أن تُستخدم بعض المشتقات، إلى أن تستدعيها الحاجة التعبيرية (6)[6] هذا يعكس الطبيعة الديناميكية للغة وتطوّرها المستمر بتغيّر الزمان والمكان والظروف، مما يجعل التحوّل سمة ملازمة للغات الحية.

ب. اختلاف الزمان والمكان والأحداث.

تحمل الكلمات مفاهيم تختلف باختلاف الثقافات واللغات سواء في القديم أم العصر الحديث، روى ابن جني عن الأصمعيّ أنّ رجلاً من العرب دخل على ملك ظفار فقال الملك: ثَبْ، وثب بالحميرية تعني اجلس، فوثب الرجل فاندقت رجلاه، فضحك الملك، وقال: "السبت عندنا عربيّ من دخل ظفار حمّر، أي تكلم بكلام حمير، وهي عربية قديمة" (7)[7] فإنّ تغيّر الأزمان والأمكنة يغيّر الكلمات المستعملة، خاصّة على ألسنة العامّة. فمن طبع العامّة أنّهم يبدّلون ألفاظ اللغة تبديلاً.

بالإضافة إلى أنّ الزمن يأتي بالجديد، فكلمات (قطار) (قطرات الماء)، بريد (الحمام الزاجل)، سيارة (قافلة الجمال) وهي معان قديمة في شبه الجزيرة العربية، تغيّرت مدلولاتها القديمة المعروفة، وارتبطت بمعان جديدة من نتاج الحياة الحديثة.

مظاهر التغيّر الدلالي.



11	انتقال الدلالة
11	الرقي والازدهار والبلى والانحطاط في الدلالة.
11	التعميم والاتّساع في الدلالة.
12	التخصيص والتضييق.

جعل الدلاليون من الكلمة المفردة موضوعاً رئيساً لعلم اللّغة، وهي محل اهتمام علم المفردات vocabulary، فذلك ما يبرّر الاهتمام بكلّ ما يطرأ على المفردات من تغيّر وتبدّل، نذكر بعض الظواهر التي تشكّل ملامح وسمات لذلك التغيّر منها:

أ. انتقال الدلالة

يكون انتقال الدلالة بسبب التعادل في المعنى، يأتي التغيّر عن طريق الاستعارة والتشبيه والكناية، إطلاق البعض على الكل، والمجاز المرسل بعلاقاته المعروفة كالسببية والمسببية، والعموم والخصوص، كلمة وغى انتقلت من التعبير عن الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها.

ب. الرقي والازدهار والبلى والانحطاط في الدلالة.

هو انتقال دلالة الكلمة من معنى إلى معنًى آخر، فمن بسيط أو ضيع إلى معنى أرقى منه، كانتقال الدلالة في لفظ السفرة من طعام المسافر وهو الحد الأدنى الذي يناله المسافر إلى دلالته على أجود أنواع الأطعمة (رقي).

دلالة لفظ "قماش" التي وردت في معاجم العربية بمعنى أراذل الناس، وما وقع على الأرض من فئات لتحوّل للدلالة على أنواع الأقمشة والملبوسات وقد تكون تسرّبت من دلالة كُماش وهي كلمة فارسية (رقي). (8) [8]

لفظة رسول كانت تدل على من يوصل الرسالة، وارتقت إلى مقام الأنبياء والرسول وقد تكون الكلمة ذات دلالة رفيعة ثم تؤول إلى دلالة دونها في سلم القيم أو في نظرة المجتمع، والأمثلة في ذلك كثيرة

لفظة الحاجب التي كنت تحمل دلالة راقية زمن الحضارة العربية في بلاد الأندلس، ثم صرت على مهنة بسيطة في الحياة الحديثة. ومنه يد طويلة دلت على الكرم وصارت تدل على السارق.

ب. التعميم والاتّساع في الدلالة.

وهو حين يكون للكلمة مدلولاً ضيقاً ثم يتّسع؛ فقد دلّ لفظ الورد قبلاً على الزهرة الواحدة بنوع محدّد، ثم

دلّت على جميع الأزهار، القيصر انتقلت من الدلالة على اسم ملك الروم الذي وُلد ولادة قيصرية إلى كلّ ملكٍ حتى صارت دولة القياصرة، ومنها ولادة قيصرية نسبة إلى الحدث.

ت. التخصيص والتضييق.

التخصيص هو أن تسير الكلمة من دلالة واسعة إلى أخرى ضيّقة، من ذلك ألفاظ الحضارة الإسلامية كلفظة صلاة التي كانت تعني مطلق الدعاء ثمّ خصصت للدلالة على الشعيرة المعروفة الصلاة المفروضة، لفظة الأمن انتقلت من معناها المعجمي وهو الاطمئنان وعدم الخوف، إلى دلالتها على رجال الشرطة في العصر الحديث.

وقد يكون التضييق بمعنى أن يكون للفظ معنىً عاماً، ثم يتحدّد ويضيق بلفظ آخر، ويؤدّي المعنى في سياقات مختلفة، فكلمة السير في عموم اللغة تدلّ على مطلق السير، لكنّه إذا كان أوّل الليل فهو الإدلاج، وإذا كان آخر الليل فهو الإدلاج بتشديد الدال، وإذا كان السير ليلاً والنزول نهاراً فهو التّأويب، وإذا كان ليلاً ونهاراً فهو الإسّاد، وإذا كان مع الصّبح فهو التغليس (9)[9] ذلك ما يثبت دقة معاني الكلمات وخصوصيتها في الدلالة.

خاتمة

اللغة ظاهرة حيّة، فهي متغيرة لأسباب متداخلة ، ومظاهرها دالّة على التغيّر.